[٢٠] الطلاق

المفهوم: يعد الطلاق مؤشراً واضحاً لفشل نسق الأسرة، وهروباً من تبعات الزواج ومتاعبه، كما إنه يشير إلى عدة أمور هامة؛ هي: (١) ترتيب نظامي لإنهاء علاقة الزواج والسماح لكل طرف بحق الزواج مرة أخرى، (٢) انتهاء رابطة الزواج أو إصدار إعلان قانوني يبطلان هذه الرابطة، (٣) انفصال بين الزوجين بحيث لا يغير هذا النظم بين العلاقات القانونية بينهما التي نجمت عن الزواج (غيث، ١٩٨٥). وإلى جانب هذا، قد اتفقت المجتمعات الإنسانية على الطلاق كأسلوب لإنهاء الحياة الزوجية الفاشلة، ولكنها اختلفت في تطبيقه، فالطلاق في البلاد الإسلامية تنظمه قوانين سماوية ثابتة، لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ويأخذ ثلاثة أشكال: طلاق بإرادة الزوج المنفردة، وخلع بإرادة الزوجة وموافقة الزوج، وتطليق بإرادة القاضي. وتدرجت في وقوعه من الطلاق الرجعي إلى البائن بينونة صغرى، ثم البائن بينونة كبرى، وهو طلاق نهائي لا رجعة فيه. بينما الطلاق في البلاد غير الإسلامية تنظمه قوانين وضعية، تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن زمان إلى زمان. فقد أعطى الإغريق الزوج السلطة المطلقة في طلاق زوجته، وأعطى الرومانيون الزوجين هذه السلطة بدون قيود، وسمح الربانيون من اليهود للزوج بطلاق زوجته متى شاء، أما القراء فحرّموه إلا لعذر شرعي أو بموافقة الزوجين. إضافة إلى هذا، انقسم المسيحيون حول إباحته، فقد حرّمه الكاثوليك مهما كانت الأسباب، وأحله البروتستانت في حالة الزنا أو تغيير الدين، وأضاف الأرثوذكس إلى هذين السببين أسباباً أخرى، تجعل الحياة الزوجية مستحيلة بين الزوجين (مرسي، ١٩٩١).

أنواع الطلاق:

وللطلاق إلى جانب هذا أربعة أنواع كما تبيحها الشريعة الإسلامية، هم: (١) **الطلاق الرجعي**؛ ويقصد به بأن عقدة الزواج لا تحل في الحال، حيث يملك الزوج إعادة مطلقته إلى حياته الزوجية دون عقد جديد، وما دامت في العدة سواء رضيت أم لم ترضى، (٢) **الطلاق البائن**؛ ويقصد به حل رابطة الزواج في الحال، (٣) **الخلع**؛ ويقصد به الطلاق على مال، وقد شرع لتفتدي به المرأة من زوج لا تريد البقاء معه، (٤) **اليمين أو الحلف**؛ ويقصد به أن يحلف الرجل بألا يقترب من زوجته مدة قد تطول أو تقصر رغبة في إذلالها وإيذائها (دعبس، ١٩٩٧).

مراحل الطلاق:

يرى عمر (١٩٩٢) أن الطلاق يمر بعدة مراحل كما يلي:

(١) **مرحلة الانفصال الفكري:** أن بداية ظهور المشكلات بين الزوجين واستمراريتها واستفحالها كفيل بحدوث انفصال فكري بينهما حيث يفكر كل منهما بطريقة مختلفة عن طريقة تفكير الآخر حول هذه المشكلات، بل وقد تكون مضادة لها وعلى نقيض منها، بما يزيد من شدتها وحدتها، ويؤدي إلى تصاعد الخلافات بينهما، فيحدث الانفصال الفكري بينهما حتى يصلا إلى حد لا يلتقيان عنده. (٢) **مرحلة الانفصال الوجداني:** أن الانفصال الفكري بين الزوجين يؤدي إلى إصابة ارتباطهما الوجداني بشرخ كبير يصعب ترميمه. (٣) **مرحلة الانفصال الجسدي:** من الصعوبة أن يجتمع الزوجان في فراش واحد ليمارسا علاقتهما الجنسية المشروعة، وفي نفس الوقت يوجد بينهما تباعد فكري وانفصال وجداني يبعد كل منهما من الآخر. (٤) **مرحلة الانفصال الشرعي القانوني:** عند تفاقم الانفصال الفكري والوجداني والجسدي بين الزوجين، وعنادهما واصرارهما على عدم اتخاذ أية خطوة إيجابية تقرب كل منهما للآخر، فإن هذا مما لا شك فيه يدفعهما إلى طلب الطلاق والانفصال الشرعي القانوني. (٥) **مرحلة الانفصال الاقتصادي المادي:** يصاحب عادة واقعة الطلاق إجراءات اقتصادية يحكمها الشرع والقانون حيث يبدأ كل من الزوجين في السؤال عن ما له وما عليه من التزامات مادية لتسويتها. وقد تتم التسوية المادية بين المطلقين بطريقة مادية، وقد لا تتم مما يحولهما إلى خصمين متنازعين، يواجه كل منهما الآخر بأسراره في

ساحات المحاكم أمام القضاء، وعندئذ يبدأ الانفصال المادي حيث يأخذ الطرفان ما لهما، وينفعان ما عليهما. (٦) مرحلة الانفصال الأبوي: يرى البعض أن الطلاق راحة من عناء مشكلات الحياة الزوجية التي تعذر استمرارها بين الزوجين بسببها، ولكن الطلاق يؤثر تأثيراً جلياً على الأطفال. وقد يتفق المطلقان وديا على كيفية رعاية أطفالهما، وقد لا يتفقان مما يؤدي بهما وبأطفالهما إلى التردد بين أروقة المحاكم والوقوف في ساحتها أمام القضاء ليقول كلمته على مرأى ومسمع من الصغار الذين لا ذنب لهم فيما شجر بين آبائهم. وفي النهاية تكون الخسارة الكبرى من نصيب الأطفال. (٧) مرحلة الانفصال الانفعالي: قد يعتقد المطلقان بأن جميع مشكلاتهما قد حلت تماماً نتيجة لحدوث واقعة الطلاق بينهما، غير إنه في الحقيقة، تبدأ عادة مشكلات من نوع آخر تمس الجانب النفسي التي يعاني منها المطلق بعد طلاقه والتي تؤثر بالضرورة على انفعالاته. وتتصف الحالة الانفعالية للمطلق بانعزاله عن الناس وتفضيله الاختلاء بنفسه لمراجعة حساباته، واستعادة ذكريته حلوها ومرها مع مطلقه، وتقويم سلوكياته معه، وتحديد إيجابياته وسلبياته، ومقارنة واقعه بين الطلاق بحاله أثناء زواجه، ورسم خطته المستقبلية، والتعرف على امكاناته وقدراته ومدى إمكانية البدء من جديد في خطوة أخرى نحو زواج ثان. وعليه، ينتاب الشخص المطلق عقب طلاقه مباشرة حالة من القلق الدائم والاكتئاب المستمر، مما يجعله يشرد بذهنه عما حوله. وقد يعبر الشخص المطلق هذه المرحلة الانفعالية الانفعالية بسلام، وقد يتعثر المطلق بعد طلاقه، فلا يستطيع عبور مرحلة الانفصال الانفعالي، مما يدفعه لمقاومتها والتغلب عليها بكافة الوسائل السوية وغير السوية.

تفسير زيادة معدلات الطلاق:

توجد تفسيرات اجتماعية وثقافية ونفسية كما يرى مرسي (١٩٩١) حاولت جاهدة أن تضع تفسيراً لزيادة معدلات الطلاق، ومن أهمها ما يلي:

أ- التفسيرات الاجتماعية والثقافية: يعزي ارتفاع معدلات الطلاق في العصر الحديث إلى عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية، من أهمها ما يلي: (١) تعقد الحياة الصناعية. (٢) قيام الحياة الحديثة على الفردية وتحقيق الذات. (٣) خروج المرأة للعمل مما جعلها تتجرأ على هدم الحياة الزوجية التي لا ترضى عنها دون أن تكون في حاجة إلى حماية الرجل. (٤) تغيير قوانين الزواج والطلاق وإعطاء الفرد الحرية في الزواج والطلاق؛ وهذا لا ينطبق على المجتمعات الإسلامية لأن قوانين الزواج والطلاق فيها سماوية لا تبديل فيها ولا تغيير. (٥) الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تواجهها الأسرة والمجتمع. (٦) سوء الاختيار في الزواج.

ب- التفسيرات النفسية: ترى بعض التفسيرات النفسية الآتية أن ارتفاع معدلات الطلاق ترجع إلى عوامل نفسية في الزوجين أو أحدهما تؤدي إلى النفور من الحياة الزوجية، وتوصلهما إلى الطلاق: (١) نظرية العدم: ترى هذه النظرية أن الطلاق يحدث نتيجة عدم حصول كل من الزوجين على الثواب من الآخر، وشعورهما بالحرمان من إشباع حاجاتهما في الزواج، أو تعرضهما للعقاب، وشعورهما بالتوتر والقلق في تفاعلهما معاً، مما يجعل استمرار علاقتهما الزوجية خبرة مؤلمة، لا يقدران على تحملها، ويكون الطلاق وسيلة لتخليصهما من هذه المشاعر. (٢) نظرية التبادل الاجتماعي: ترى هذه النظرية أن الطلاق يحدث نتيجة حرمان الزوجان أو أحدهما من الربح النفسي في تفاعلهما معاً، أو شعورهما بالخسارة النفسية في وجودهما معاً. حيث تكون التكلفة النفسية للزواج أكبر من العائد النفسي. فكل شخص وفقاً لهذه النظرية يترك العلاقة الزوجية التي لا تحقق له ربحاً نفسياً، أو تعرضه للخسارة النفسية، أو عندما يجد علاقة أخرى أفضل من الربح النفسي. (٣) النظرية النفس – دينية: وتقوم هذه النظرية على مسلمة أن الطلاق كالزواج من الأعمال التعبدية، يثاب عليه المسلمون إذا استخدموه في تحقيق أهدافه الشرعية. وترتبط هذه المسلمة الطلاق بالنية، والقصد منه، والدوافع إليه، فإذا كانت النوايا طيبة، كان الطلاق واجباً، يثاب عليه فاعله، ويأثم تاركه. أما إذا كانت النوايا غير طيبة، كان الطلاق حراماً، يأثم فاعله، ويثاب تاركه. إضافة إلى هذا، تعزى النظرية النفس – دينية ارتفاع معدلات

الطلاق في البلاد الإسلامية إلى رقة في الدين، وضعف الدوافع الدينية، وسيطرة دوافع الأنانية والفردية، وحب الشهوات والملذات الحسية، وضعف الدوافع الاجتماعية، وتحلل الروابط النفسية بين الزوجين.

الأسباب الكامنة وراء الطلاق:

يعزي الطلاق إلى خطأ الاختيار منذ البداية، فالفتاة قد تختار على أساس مادي أو منصب اجتماعي دون النظر للأخلاقيات، وكذلك الشباب قد يركز على جمال الفتاة أو مركز الأسرة بغض النظر عن التوافق في الطباع والأفكار. وبعد الزواج يحاول كل طرف تغيير الآخر ليكون صورة طبق الأصل منه، وهذا خطأ كبير وأمر مرفوض، حيث يجب أن يحترم كل منهما كيان الآخر وأفكاره.

إلى جانب هذا، اختلفت الأسباب الداعية إلى الطلاق عبر العصور، فقد أوجب النظام الصيني الطلاق في حالات العقم، والخيانة، وعدم انسجام المزاج، أو عدم احترام أحد الزوجين لأقارب الآخر. كما أجمعت معظم الشرائع على اعتبار العقم والزنا ذريعتين قويتين للطلاق. إضافة إلى هذا، يرى بعض علماء الاجتماع العرب أن حجم الأسرة والدين يلعبان دوراً كبيراً في معدل الطلاق في البلاد العربية، إلى جانب انخفاض المستوى الاجتماعي الاقتصادي الثقافي للأسرة، أو ارتفاع المستوى الاقتصادي وانخفاض المستوى الثقافي والاجتماعي للأسرة (غالب، ١٩٨٧).

وقد انتهت نتائج بعض البحوث (إبراهيم، ١٩٨٦) إلى أن من أسباب الطلاق عدم التدين، حيث تبين ارتفاع معدلات الطلاق بين المتزوجين غير المتدينين عنها بين المتزوجين المتدينين. وقد تم تفسير هذا، بأن المتدينين يحترمون قدسية الزواج، بينما يستهتر غير المتدينين به باعتباره عقداً شخصياً، يمكن الرجوع عنه إذا انتهت الأسباب الداعية إلى الزواج.

ويرى مرسي (١٩٩١) أن أسباب الطلاق إنما يعزي إلى حداثة الزواج، والتباين الكبير في السن بين الزوجين، والزواج من أجنبية، وعدم التوافق الجنسي، وضعف الوازع الديني عند الزوجين، والطفرة الاقتصادية للزوج، والخلافات حول الأمور المالية، وعدم الإنجاب، وعمل الزوجة، والخلافات مع أهل الزوج أو الزوجة، والأزمات التي تتعرض لها الأسرة.

كما يرى صادق وأبو حطب (١٩٩١) أن الطلاق يحدث نتيجة للأسباب التالية:

(١) ضعف الزواج أو فتوره نتيجة لانقضاء الوقت أو مرور الزمن وما يصاحب ذلك من جهل أو تجاهل أحد الزوجين لمشاعر الآخر، ونقص الأنشطة والقرارات المشتركة بينهما.
(٢) صدمة أحد الزوجين في الآخر، كأن تكتشف الزوجة علاقة بين زوجها وامرأة أخرى أو العكس.
(٣) صراع زواجي طويل الأمد، ربما منذ بدء الزواج، نتيجة لفساد أو خطأ أساس اختيار كل من الزوجين للآخر.

إضافة إلى هذا، أشار عمر (١٩٩٢) إلى أن أسباب الطلاق لبعض الأزواج الأمريكيين تعزى إلى عوامل المال من الحياة الزوجية الروتينية وما يصاحبها من مشكلات ترتبط بتداخل الأدوار الاجتماعية لكل من الزوجين، وصعوبة إمكانية تحديد مسئوليات كل منهما تجاه الآخر، ورغبة كل منهما في التمتع بحريته الشخصية حتى لو كان ذلك على حساب كرامة الآخر وحقوقه. وإلى جانب هذا، تختلف الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق في المجتمعات الغربية عنها في المجتمعات الغربية حيث لا يتم الطلاق بين الزوجين إلا إذا تعذر استمرار الحياة الزوجية بينهما، وسارت في طريق مسدود لا منفذ منه ينقذها من نهايتها المكروهة ويجدد نشاطها ويحافظ على بقائها. ويصاحب الزواج المبكر عادة مشكلات ناتجة عن قلة خبرة الزوجين بالحياة العامة التي يعيشان فيها، وقلة خبرتهما بأساليب التفاعل الثنائي الإيجابي والتواصل الجيد بينهما داخل نطاق الأسرة التي تضمنهما معاً،

واعتزاز كل منهما بشخصيته وإصراره على موقفه وعناده في سلوكه، مما يتعذر معه الاستمرار في حياتهما الزوجية، فينفصلان عن بعضهما بالطلاق. إضافة إلى هذا، قد يتسبب الإسراع في الزواج دون تمهل وروية في خلق كثير من المشكلات التي تواجه الزوجين حيث يجهل أي منهما الكثير من خصائص وطبائع الآخر فيما يتعلق بأي مجال من مجالاته الشخصية والاجتماعية والتربوية، والتي قد يكتشفها بعد الزواج ويشعر بأنها لا تعجبه فيه فيحاول تغييرها أو تبديلها، ولكنه لا يقدر على ذلك، فيصطدمان مع بعضهما بما لا يدع مجالاً للصبر ولا للتسامح من جانب أي منهما، مما يجعلهما يسيران في طريقين متضادين حيث يبتعدان عن بعضهما بلا رجعة فيحدث الطلاق بينهما.

القياس: لبناء استبانة أسباب الطلاق، قام موسى والحطاب (٢٠٠٣) بالإطلاع على بعض المقاييس في هذا الصدد؛ وخاصة استبانة الأسباب المدركة لنطلاق perceived causes of divorce من إعداد دافيز وأخرون Davis & Aron (١٩٨٨)؛ بالإضافة إلى القيام بدراسة استطلاعية على مجموعة مكونة من ثلاثين امرأة مطلقة، وخمسين امرأة متزوجة ممن بلغت متوسط أعمارهن ٤١,٦ سنة للتعرف على الأسباب الرامية إلى الطلاق. وقد تم الوصول إلى الأسباب التالية وراء وقوع الطلاق: عدم الإنجاب، الغيرة الشديدة، زواج الأقارب، عمل الزوجة، إهمال الزوجة لشئون المنزل، علاقات عاطفية سابقة لكل من الزوجين، إفشاء الزوجة لأسرار المنزل، كثرة طلبات الزوجة، انشغال الزوجة بالأطفال عن زوجها، زواج المصالح، اختلاط الزوجة بالجيران، التفاوت في المستوى التعليمي والثقافي، إنجاب الإناث فقط عدم الثقة بين الزوجين، ارتباط الزوج المرضي بأمه، أنانية الزوج، التباين الكبير في عمر الزوجين، عدم تبادل الحب بين الزوجين، بخل الزوج، الزواج بالإكراه، خروج وسهر الزوج، ضعف شخصية الزوج، اختلاف مزاج الزوجين، سفر الزوج لفترة زمنية طويلة، بغض الأهل لهذا الارتباط، عدم التوافق بين الزوجين، تسلط الزوج وجبروته، عدم اهتمام الزوجة بمظهرها، الإقامة مع الأسرة، نجاح الزوجة وتقدمها في العمل، الاستبداد بالرأي من أحد الزوجين، مطالبة الزوجة بالإقامة بعيداً عن الأهل، إسراف الزوجة مادياً، عدم النظافة الشخصية للزوجة، تعدي إحدهما على حقوق الآخر، الاستقلال المادي للزوجة، الزواج المبكر.

وقد تمت الاستفادة من الإجراءات السابقة في بناء بنود استبانة أسباب الطلاق التي تكونت من ٣٠ بنداً، والتي تم عرضها على مجموعة من أساتذة القياس النفسي، وعلم الاجتماع، والصحة النفسية للحكم على صدق المضمون لهذه البنود. وتتم الاستجابة على بنود الاستبانة من خلال ميزان تقدير مكون من خمسة موازين، تبدأ بموافق جداً (تعطي خمس درجات)؛ وتنتهي بغير موافق جداً (تعطي درجة واحدة فقط). وتدل الدرجة المرتفعة على تعاظم الأسباب المؤدية إلى الطلاق، بينما تدل الدرجة المنخفضة على ضحالة الأسباب وراء الطلاق (انظر الملحق).

الصدق: قام موسى والحطاب (٢٠٠٣) بحساب الصدق المنطقي لاستبانة أسباب الطلاق، كما تم حساب الاتساق الداخلي لبنود الاستبانة، وذلك من خلال حساب معامل الارتباط بين درجة كل بند والمجموع الكلي لبنود الاستبانة التي تم تطبيقها على ستين امرأة (٢٠ امرأة مطلقة، و٤٠ امرأة متزوجة، متوسط أعمارهن = ٣٩,٩ سنة)، وقد تراوحت معاملات الارتباط لبنود الاستبانة من ٠,٦٧ إلى ٠,٨١، وكلها معاملات دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١.

الثبات: تم حساب ثبات استبانة أسباب الطلاق من خلال استخدام معادلة ألفا لكرونباخ، فبلغ معامل الثبات ٠,٨٦ (موسى، والحطاب، ٢٠٠٣).

استبانة أسباب الطلاق

	البنـــــود	موافق جداً	موافق	متردد	غير موافق	غير موافق جداً
١-	يرى البعض أن عقم المرأة وعدم القدرة على الإنجاب من أسباب حدوث الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٢-	أرى أن خروج المرأة إلى العمل أدى إلى زيادة معدلات الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٣-	أعتقد إنه تقع على المرأة المسئولية الكبرى في حدوث الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٤-	يحدث الطلاق نتيجة لتفاوت المستوى الاجتماعي بين الزوجين	( )	( )	( )	( )	( )
٥-	يؤدي إنجاب المرأة المستمر للإناث فقط إلى الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٦-	عدم قدرة المرأة على إشباع زوجها معنوياً وحسياً مبرراً لحدوث الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٧-	تطلق المرأة لعدم مشاركتها مادياً في شئون المنزل	( )	( )	( )	( )	( )
٨-	لا يمثل طلاق المرأة أية مشكلة اجتماعية على الإطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٩-	يؤدي تزايد كثرة المطلقات في المجتمع إلى خلل اجتماعي ..	( )	( )	( )	( )	( )
١٠-	تحجم بعض النساء عن طلب الطلاق نتيجة لوجود أولاد	( )	( )	( )	( )	( )
١١-	أعتقد أن الطلاق قسمة ونصيب	( )	( )	( )	( )	( )
١٢-	يطلّق الرجل المرأة غير المطيعة والمتسلطة	( )	( )	( )	( )	( )
١٣-	يؤدي عدم مرونة المرأة وتعنتها مع زوجها إلى حدوث الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
١٤-	يحدث الطلاق نتيجة معاناة بعض النساء من الاضطرابات النفسية	( )	( )	( )	( )	( )
١٥-	طيش ورعونة بعض الرجال وراء حدوث طلاق المرأة	( )	( )	( )	( )	( )
١٦-	يؤدي وجود العصمة في يد النساء إلى تنامي معدلات حدوث الطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
١٧-	تطلب المرأة الطلاق نتيجة لانشغال زوجها المستمر عنها ...	( )	( )	( )	( )	( )
١٨-	تسعى المرأة إلى طلب الطلاق إذا قابلت شخصاً أفضل من زوجها مادياً واجتماعياً	( )	( )	( )	( )	( )
١٩-	ينظر المجتمع إلى المرأة المطلقة على أنها منحرفة وشخص غير مرغوب فيه	( )	( )	( )	( )	( )
٢٠-	لا تميل النساء المتزوجات إلى مصاحبة المطلقات خوفاً على سمعتهن	( )	( )	( )	( )	( )
٢١-	ينظر الرجال إلى المرأة المطلقة على أنها صيد سهل المنال..	( )	( )	( )	( )	( )
٢٢-	تخاف المرأة المتزوجة من مصادقة المطلقة خشية أن تستحوذ على زوجها	( )	( )	( )	( )	( )
٢٣-	يحجم الشباب عن الاقتران بأية امرأة مطلقة	( )	( )	( )	( )	( )
٢٤-	يلجأ الرجال إلى الطلاق عندما يشعر أن زوجته أكثر منه تفوقاً	( )	( )	( )	( )	( )

البنـــــود	موافق جداً	موافق	متردد	غير موافق	غير موافق جداً
٢٥- تضطر المرأة المطلقة إلى الزواج مرة أخرى عملاً بالمثل القائل: "ظل رجل ولا ظل حيطة"	( )	( )	( )	( )	( )
٢٦- تلح المرأة على طلب الطلاق عندما تكتشف بأن زوجها بخيلاً..	( )	( )	( )	( )	( )
٢٧- تقبل كثير من النساء المطلقات الزواج عرفياً	( )	( )	( )	( )	( )
٢٨- ترى أسرة المرأة المطلقة بأنها حمل ثقيل	( )	( )	( )	( )	( )
٢٩- تتسم حياة المرأة المطلقة بالتحرر والانطلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٣٠- ليس من حق المرأة المطلقة أن تختار ما تشاء عند الـزواج مرة أخرى	( )	( )	( )	( )	( )